بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني والعشرون

[قراءة المتن]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما نافعا اللهم اغفر لنا، ولشيخنا أجمعين:

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله – عز وجل –: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ) (٦٤).

وفي (الصحيح) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (٦٥) قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) [أخرجاه].

وقال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو).

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين هذه ترجمة عظيمة لباب عظيم يكشف فيه عن سبب من أعظم أسباب الشرك بالله – عز وجل –

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

فقوله "باب ما جاء" يعني ما جاء من الأدلة والأخبار الدالة على أن سبب كفر بني أدم وتركهم دينهم إذ كانوا بنو أدم على التوحيد كانوا على ملة واحدة كما قال الله – عز وجل – (كان الناس أمة واحدة) ما هو السبب ؟

هو الغلو في الصالحين "الغلو" المقصود به مجاوزة الحد، وهو بمعنى الإفراط بخلاف التفريط الذي بمعنى التساهل فكل مجاوزة للحد وإفراط في القول أو الاعتقاد أو العمل فإنه يعد غلوا

والمراد "بالصالحين" جمع صالح وإذا ذكرت مفردة تناول ذلك جميع أصناف المؤمنين، الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين الذين بالمعنى الخاص الممتثلون لأوامر الله المجتنبون لمناهيه

◈ **إذا هذا الباب مناسب جدا لكتاب التوحيد:**

لأن التوحيد ضد الشرك فكان من المناسب أن يعقد المصنف باب يذكر فيه السبب الذي أوقع بني أدم في الشرك بعد أن كانوا على التوحيد لما؟ ليُحذر ذلك الأمر ويتجنب ولا يقع الناس في ما وقع فيه أسلافهم

◈ **استدل بقول الله – عز وجل –: { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم }**

هذا نداء من الله – عز وجل – إلى أهل الكتاب، وأهل الكتاب المراد بهم حصرا وقطعا اليهود والنصارى، ومما يدل على ذلك قول الله – عز وجل – : { أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين } فدل ذلك على أن أهل الكتاب هما الطائفتان اللذان أنزل عليهم التوراة والإنجيل فهم اليهود والنصارى،

وهذا المصطلح أهل الكتاب لا يدل بحد ذاته على مدح ولا ذم فإنهم أهل الكتاب بمعنى أن الكتاب أنزل عليهم ولهذا يعبر الله تعالى أحيانا بقوله أتوا الكتاب وأحيانا بقوله أرثوا الكتاب فإنه لا يكون مدحا لهم إلا إذا قاموا: { ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم } فلو أنهم أقاموهما لكان ذلك مدحا وإن هم ضيعوهما كان ذلك ذما وعاد حجة عليهم وإلى ما آل أهل الكتاب إلى إقامته أم إلى تضييعه؟ إلى تضييعه،

ولهذا لما بعث نبينا ﷺ كانت فرصة سانحة لأهل الكتاب أن يرجعوا إلى ملة إبراهيم فإن الله تعالى قد قال (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) فكان القرآن رافع للإشكال والالتباس الذي وقع فيه اليهود والنصارى فلو أنهم اغتبطوا بنعمة الله وقبلوا ما ساق الله تعالى إليهم من الخير لنجوا وسعدوا، وقد جرى ذلك لكثير منهم – ولا ريب –

فإن الله تعالى قد قال في كتابه: { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون- به يعني القرآن - وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين }

لله درهم هؤلاء يؤتون أجرهم مرتين لماذا ؟ لأنهم أمنوا برسولهم الأول ثم آمنوا بمحمد ﷺ ثانيا فآتاهم الله أجرهم مرتين بخلاف الذين أصروا على كفرهم وتكذيبهم وقولهم بأن الله ثالث ثلاثة، وأن عيسى ابن الله أو هو الله، وقولهم بالحلول، والتجسد، والبنوة وغير ذلك من العقائد الباطلة التي عليها نصارى اليوم أو اليهود الذين قالوا عزير ابن الله و كذبوا بمحمد ﷺ،

إذا أهل الكتاب هم اليهود والنصارى فقد وجه الله تعالى لهم في كتابه جملة من النداءات من بينها هذا النداء العظيم يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم أي لا تتعدوا ولا تتجاوزوا ما أمركم الله تعالى به في العقائد والأعمال وغلو النصارى أكثره في العقائد، وغلو اليهود أكثره في الأعمال وإن كان قد وقع لكلا الطائفتين غلو فإن كلا منهم قد غلا قال الله تعالى: { وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله } هذا غلو في الاعتقاد حيث رفعوا البشر عن منزلتهم وتجاوزوا به الحد وشبهوه بالخالق تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

ثم إن النصارى لم يزالوا يغلون في عيسى - عليه السلام - حتى قالوا هو الله أو قالوا هو ثالث ثلاثة وجعلوا الإله مكونا من ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس إله واحد في زعمهم وحدة في تثليث وتثليث في وحدة في كلام غير مفهوم وغير مستساغ،

كما أنهم أيضا غلو في الحواريين ومن يسمونهم الرسل يعني دعاة النصرانية والأساقفة حتى أطلقوا عليهم لقب قديسين فيسمون الواحد منهم من الآدميين القديس فلان واعتقدوا بأنه إذا اجتمع الأساقفة في مكان واحد فإنهم معصومون وما يصدر عنهم يرعاه الروح القدس فأوجدوا عنهم ما يسمى بالمجامع، المجامع النصرانية التي ابتدأت من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ للميلاد وتلتها مجامع متعددة كان أخرها المجمع الفاتيكان الثاني الذي عقد سنة ١٩٦١ إلى ١٩٦٥ أربع سنوات

يعتقد النصارى الكاثوليك بأنهم إذا اجتمع أساقفتهم الذين على وجه البسيطة على وجه الأرض في مجمع المسكوني، المسكوني نسبة إلى الأرض المسكونة فإن جميع قراراتهم ودساتيرهم تكتسب العصمة بل إنهم من الأمور

التي أحدثوها في دينهم أن البابا يملك حق العصمة وقد تنازعوا في هذا لكنه مما أدخله في دينهم فهذا ضرب من الغلو ولكنهم مفرطون في الأعمال فلا عبادة عند النصارى ولا التزام بالشريعة لأن بُولس أفسد دينهم وأقنعهم بمجرد الإيمان بيسوع المخلص كما يقولون يبررهم يعني يحصل لهم بذلك البر هذا معنى التبرير عندهم فبمجرد أن يؤمن أحدهم بعيسى عليه السلام على العقيدة التي يعتقدونها فإن الناموس يسقط عنه ما المراد بالناموس؟ أي الشريعة يعني يكون معفى من إتباع الشرائع

ولذلك تلاحظون أن نصارى اليوم ليس عندهم عبادات تذكر غاية ما في الأمر أن يحضر أحدهم قداسا يوم الأحد ويستمع إلى موعظة وأناشيد ثم ينصرف،

أما اليهود فقد كان غلوهم إلى جانب غلوه في الاعتقاد في الأعمال فصار عندهم تشدد في أمر الدين في الذبائح، وفي الطهارة، وفي غير ذلك حتى صار عليهم كالأغلال والآصار فنهاهم الله تعالى عن الغلو: { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم }

◈ **فهذه الآية مناسبة للباب مناسبة تامة**

- إذ أن فيها النهي عن الغلو نهي أهل الكتاب عن الغلو ونهي أهل الكتاب عن الغلو نهي لهذه الأمة أيضا أن تسلك مسلكهم، وذلك أن نبينا ﷺ قد حذرنا بأن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، وقد وقع فعلا في هذه الأمة غلو و إن كان بنسبة أقل لم يذهب ولم تضمحل معه حقيقة الدين بل بقيت الفرقة الناجية والطائفة المنصورة شاهدة بالحق في كل زمان ومكان ولله الحمد لكن قد وقع من أفراد هذه الأمة من غلا في الأنبياء، في الصالحين، في الأولياء، ورفعوهم فوق منزلتهم، وأطلقوا عبارات الثناء والمدائح التي لا تنبغي إلا لله – عز وجل – كما ذكرنا مرارا، إذا دلت هذه الآية على تحريم الغلو والرد على اليهود والنصارى في ما أحدثوه في دينهم
- أيضا مما يستفاد من هذه الآية أن الغلو قد يقع في الأشخاص؛ وقد يقع في الأعمال قد يقع في الأشخاص فيرفع الشخص فوق منزلته، وقد يقع في الأعمال فيبتدع الناس ما لم يشرعه الله تعالى لهم
- وتدل الآية على فضل دين الإسلام وأنه دين التوسط والاعتدال؛ لأن هذه الأمة بحمد الله وسط بين الأمم بين إفراط اليهود وتفريط النصارى قال الله تعالى :{ وكذلك جعلناكم أمة وسطا} فمن لزم السنة المحضة فقد صار في طريق وسط لا عوج فيه

◈ **ثم قال المصنف – رحمه الله – تعالى:- في الصحيح** مراده بالصحيح هاهنا صحيح البخاري **عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:{ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا }** وقالوا من القائلون قوم نوح يتواصون في ما بينهم يقول بعضهم لبعض تمسكوا بما أنتم عليه ولا تتركوا هؤلاء لا تتركوا عبادة ألهتكم وعلى وجه الخصوص هؤلاء الخمسة مما يدل على أن لهم آلهة متعددة ولكنهم خصوا هؤلاء الخمسة بالذكر ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا

من هؤلاء ؟ كفانا ابن عباس رضي الله عنهما معرفة ذلك فقال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا والمقصود بـانصبوا يعني اعمدوا وأقيموا أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، والأنصاب هي الأصنام المصورة وسموها بأسمائهم ففعلوا هذا اقتراح شيطاني تقدم به الشيطان إلى هؤلاء الناس فأتاهم الشيطان لابس جبة وعمامة متظاهرا بالصلاح والموعظة وقال هؤلاء الخمسة الفضلاء إن أنتم تركتموهم بعد موتهم فسوف تنسوهم وسوف تفترون عن العبادة ولكن الحل أن تتجهوا إلى مجالسهم التي كانوا يعلمون فيها العلم ويعظون فيها الناس وتضعوا صورا لهم ونصب وتسمون هذه الأنصاب بأسماهم ود سواع يغوث يعوق نسرا لم ؟ لكي إذا رأيتموهم تذكرتم مجالسهم ونشطتم على العبادة ،

هكذا غلف الشيطان هذا السم بالعسل وسلك هذه المقولة التي ظاهرها حق وباطنها باطل على هؤلاء الأغرار، قال ابن عباس رضي الله عنهما ففعلوا ولم تعبد لأنه لو قال لهم في من البداية اعبدوهم لردوه ويعني رفضوا مقالته إذا كانوا حديثي عهد بتوحيد لكنه فطن ذكي يعرف من أين تؤكل الكتف كما يقال أتاهم رويدا فاكتفى من الجيل الأول بهذا التعظيم وقبل منهم ذلك

قال حتى إذا هلك أولئك، من أولئك؟ الجيل الأول الذين اقترح عليهم رفع الأنصاب، ونسي العلم يعني أندرس العلم لأن العلم يندرس كيف يندرس العلم؟ بموت العلماء وعدم وجود من يحفظه في الصدور لا أقول في السطور بل توجد الكتب لكن العبرة بما يكون في الصدور والعمل قال عُبدت فإن الشيطان أتى إلى من بعدهم وأغراهم بعبادتهم، وقال هؤلاء شفعاؤكم عند الله اعبدوهم لهم منزلة ومقام عند الله فعبدوهم إذا هكذا وقع الشرك في بعض الأحاديث أنه كان بين زمن أدم وزمن نوح عشرة قرون كلهم على التوحيد كان الناس أمة واحدة يعني على التوحيد فاختلفوا لكن هذه الوحدة لم تدم اختلفوا في عباداتهم فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين –

قال ابن القيم – رحمه الله – :قال غير واحد من السلف إذ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ينقل عن ابن القيم وابن القيم ينقل عن غير واحد من السلف

قال لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم إذا هذا كلام ابن القيم تأكيدا لما رواه البخاري عن ابن عباس وزيادة علم ما الزيادة التي وجدناها في كلام ابن القيم؟ العكوف يعني وافق رواية البخاري في صنع التصاوير والأنصاب وزاد على ذلك العكوف يعني بمعنى أنه أغراهم في البداية أن يعكفوا على قبورهم فعكفوا على قبورهم تعظيما لهم وانجذابا إليهم

ثم نقلهم إلى مرحلة أخرى فقال يطول بكم ذلك انصبوا لهم أنصابا في مجالسهم حتى يسهل عليكم وهكذا الشيطان يتسلل إلى قلوب الآدميين ويتلطف فينبغي للمؤمن الفطن الكيس الحاذق أن يجعل على قلبه حارسا يفرز وفحص الواردات فيميز ما كان واردا إيمانيا وما كان واردا شيطانيا فلا يستدرج إلى هلكة

إذا هذا الحديث الذي رواه ابن عباس مناسب جدا للباب إذ أن فيه أن الغلو في الصالحين يؤدي إلى عبادتهم ونستفيد منه:

- هذه الفائدة وهي أن الغلو في الصالحين سبب للشرك

- ونستفيد أيضا التحذير من التصوير لا سيما صور المعظمين من الأمراء والعلماء والوجهاء وغير ذلك فإن هؤلاء القوم لما صوروا الصور تعلقت قلوبهم بهذه الصور فعبدوها

فيجب الحذر - أيها الأخوان - من التصاوير لا سيما ما كان منها منحوتا لأنه أبلغ في المضاهاة ما كان منحوتا من خشب أو حجر أو خزف فإنه أبلغ في المضاهاة فيجب الحذر من هذه التماثيل المنحوتة وقد طهر الله تعالى هذه البلاد المملكة العربية السعودية بحمد الله من هذه التماثيل والنصب وإذا توجه الإنسان إلى كثير من بلاد المسلمين وللأسف وجد هذه الأنصاب مبثوثة في الميادين العامة فهذا من أعظم الأسباب الوقوع في الشرك بالله تعالى .

- أيضا نستفيد من هذا الحديث الحذر من مكائد الشيطان وأحابيله؛ فإن الشيطان لا يأتي دفعة واحدة وإنما يتدرج في إيقاع العبد بما أحب درجات فليكن المؤمن على حذر من أن يوقعه في البدعة، من أن يوقعه في الكبيرة، من أن يوقعه في الغفلة ينبغي للمؤمن أن يكون يقظا ولا يكون غافلا من مكائد الشيطان، ومع ذلك فإن الشيطان كيده ضعيفا إن كيد الشيطان كان ضعيفا على تلطفه وتسلله إلى النفس لكنه ضعيف أمام النفس المؤمنة

- وأيضا في الحديث ما يدل على فضل العلم وأهله تأملوا قوله حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت إذا العلم حصانة العلم عصمة أيها الإخوان فإنه يرد الله تعالى به شرا كثيرا أهل العلم وطلبة العلم هم أوتاد الأرض، ونجوم السماء إذا هم أدوا ما انتدبهم الله تعالى إليه وشرفهم به

- وفيه أيضا أن فقد العلم لا بفقد الكتب، ولا الأشرطة، ولا الأقراص المدمجة وإنما يكون بفقد ماذا؟ بفقد العلماء كما في الحديث إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس أئمة جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.

- وفي الحديث أيضا ما يدل على ذم التقليد؛ لأن من جاء بعدهم قلدوا سلفهم إنا وجدنا أبائنا على أمة وإنا على أثارهم مهتدون وقد مر بنا في الباب السابق قريب من هذا المعنى في قصة أبي طالب حينما قالا له ينخيانه بنخوة الجاهلية أترغب عن ملة عبد المطلب فتقليد الآباء والأجداد على الباطل من أعظم أسباب الوقوع في الشر والشرك

◈ **ثم قال المصنف - رحمه الله - :-عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)) [أخرجاه]**

عليه الصلاة والسلام هكذا بعث ﷺ بالحق متواضعا فإنه نهى أصحابه عن الإطراء

والمقصود "بالإطراء" هو المبالغة بالمدح و الكذب فيه هذا هو الإطراء، وربما كان الإطراء الذي قصده النبي ﷺ هو هذا النوع الذي قيده بقوله كما أطرت النصارى ابن مريم فلا يعني ذلك عدم الثناء عليه ﷺ وتذكر سيرته الشريفة وفضائله، ولكن ما جاوز ذلك كان مذموما،

النصارى غلت في المسيح عليه السلام فمنهم من اعتقد أنه الله، ومنهم من اعتقد أنه ابن الله، ومنهم من اعتقد أنه ثالث ثلاثة، ومنهم من يخلط بين هذه الخلطة ويعبر بتعبيرات موهمة فليس عندهم وضوح في هذا الأمر يزعمون أن الله - سبحانه وتعالى - حل في جسد المسيح، وأن المسيح هو الإله الذي يمشي بين الناس، وأنه هو الذي قبض عليه وصلب وعلق على الصليب، ومات ثم يزعمون أنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام وتارة يتحدثون عن الله وتارة ينقلب السياق في حديث عن الإبل وهكذا في أمر لا يستطيعون التعبير عنه حتى قال بعض أهل العلم لو اجتمع عشرة من النصارى ليبحثوا أمرا واحدا لخرجوا بأحد عشر قولا يعني حتى أكثر منهم هكذا فما أكثر اختلافهم لأنهم هم الضالون الذين ضلوا عن سواء السبيل .

طيب قال "إنما" إنما أداة حصر فحصر النبي ﷺ صفته بما يلي عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله إذا الأصل فيه العبودية كسائر الناس ولكنها عبودية خاصة فإنه أكمل الناس عبودية لله رب العالمين، وقد جمع النبي ﷺ لنفسه ها هنا وصفين كما جمع الله تعالى له هذين الوصفين أنه عبد رسول، وفي وصفه بالعبودية رد على أهل الغلو الذين يرفعونه إلى مقام الألوهية، وفي وصفه بالرسالة رد على أهل الجفاء الذين يقدحون فيه ﷺ فالحق وسط بين

ضلالتين، وعدل بين عوجين، ووسط بين طرفين فهو عبد الله ورسوله فعبد رد على أهل الغلو ورسول رد على أهل الجفاء

◈ **ومناسبة هذا الحديث للباب:**

أن فيه النهي عن الغلو، وأن النبي ﷺ الذي هو أكرم الخلق على الله – عز وجل – يشرف بوصفه بالعبودية فمن زاد عن وصفه بالعبودية والرسالة فقد غلا وأفضى به ذلك إلى الشرك وقد أنشدناكم غير مرة مثال للغلو فيه من قبل بعض المداحين الذي يقول في أبيات له :

(يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم إن لم تكن يوم معادي أخذ بيدي عفوا وإلا فقل يا زلة القدم فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم) هذا في الحقيقة مثل هذه الأبيات لا تزيد صاحبها قربا وإنما تزيده بعدا ولو سمعها النبي ﷺ لغضب عليه فإن في هذا منازعة لله تعالى في خالص حقه في ألوهيته وفي ربوبيته أيضا ولكن الغلو والسرف يعمي ويسر فنسأل الله – عز وجل – أن يلزمنا كلمة التقوى

◈ **فنستفيد من حديث عمر رضي الله عنه:-**

- تحريم الغلو ومجاوزة الحد في المديح

- ونستفيد أيضا كمال شفقة النبي ﷺ ونصحه لأمته

- ونستفيد ما قصد المصنف من إيراده في هذا الباب أن الغلو في الصالحين يفضي إلى الشرك كيف ذلك؟ أليس الغلو في عيسى قد أفضى بالنصارى إلى الشرك فكذلك من غلى في النبي ﷺ فإنه يفضي به إلى الشرك

- ونستفيد أيضا على وجه العموم التحذير من التشبه باليهود والنصارى وسائر الكفرة فالواجب علينا أيها الإخوان أن نربأ بأنفسنا عن السير على طريقهم وتقليدهم

وأنه لمن دواعي الأسف أن نجد الأن من كثير من المسلمين من يحاكي النصارى الغربيين في عاداتهم وتقاليدهم نسأل كثيرا عن حكم إقامة حفلات الميلاد صار من المسلمين من يتخذ هذه العادة النصرانية لأولاده من بنين وبنات يقيم لهم حفلة عيد ميلاد ويطفأ الشموع بعدد سنوات عمره ويعمل لذلك حفلة وغير ذلك

هل كان هذا بين المسلمين؟ هذا ليس من عادة أهل الإسلام، ولا من أخلاقهم، ولا من دينهم فضلا عن ذلك، وإنما أمر رأوه في هذه الأفلام، والقصص فساروا يحاكونه يظنون أن هذا لا يقدح في الدين وهو في الحقيقة يهدم الدين لأن من تشبه بقوم فهو منهم فعلينا أن نعتز بديننا وأن نعلم أن الله أكرمنا بكرامة عظيمة حيث قال "كنتم خير أمة أخرجت للناس" فلا يليق بالأمة أمة الرسالة، والقيادة، والريادة أن تكون ذيلا وتبعا لمن هم دونها

◈ **ثم ساق المصنف – رحمه الله – هكذا دون ذكر الراوي قال: رسول الله ﷺ**

وكأن الشيخ – رحمه الله – كان سيبيض هذا فلم يمكن وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس فلنقل إذا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) "و إياكم" كلمة تحذير عكس عليكم، "الغلو" هذه منصوبة على التحذير بفعل مقدر إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو من كان قبلنا أي من الأمم وهذا يشمل اليهود والنصارى وغيرهم،

◈ **ومناسبة الحديث للباب ظاهرة** فإن فيها النهي عن الغلو مطلقا

◈ **ويستفاد منه:**

– النهي عن الغلو لقوله إياكم

– ونستفيد منه فضيلة الاعتبار بحال الأمم السابقة :{ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلكم } هذا هو السير المثمر وليس السير المثمر لتعظيم الآثار، والتعجب من المباني، والمخلفات، والتراث ليس هذا هو المفيد. المفيد هو نظر الاعتبار،

ولقد وجه القرآن الكريم أهل الإسلام بل وجه أهل مكة على أن يعتبروا بما يمرون عليه { وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وإنها لبسبيل مقيم } ما هي ؟ مدائن صالح في وادي القرى يمرون ويرون هذه البيوت المنحوتة من الصخر مما يكشف عن قوة أمة وقبيلة ومع ذلك أهلكهم الله – عز وجل –، ولما مر النبي ﷺ بوادي القرى أمر أصحابه قال لا تدخلوها إلا وأنتم باكون فإن لم تبكوا فتباكوا، وقنع النبي ﷺ رأسه ووجهه

وأرخى الزمام لناقته ومر سريعا لأنها أرض عذاب فالذي ينبغي للإنسان ألا يذهب للتنزه، والترفه، والتنعم في هذه الأماكن وقد أمر النبي ﷺ ألا يدخلها الإنسان إلا وهو باك أو متباك وإنما يدخلها للاعتبار، والاتعاظ هذا هو المطلوب

- كذلك أيضا مما نستفيده من حديث ابن عباس هذا الأخير حرص النبي ﷺ على أمته؛ والله يا أخوة أن النبي ﷺ ما ترك شاذة ولا فاذة إلا ونبه أمته عليها، كما قال أبو ذر ((لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ترك لنا منه علم))

فلا يمكن أن تجد مسألة من المسائل أو نازلة من النوازل إلا وفي ديننا ولله الحمد الشفاء والغناء والكفاية وفي الحديث ما يدل على وجوب الاعتدال في جميع الأمور

وهكذا يا أخوة يجب على الإنسان أن يحذر من جميع صورهم، الغلو .الغلو هو الذي أوقع الخوارج في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم

الغلو هو الذي أوقع الرافضة في تأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورفعه فوق منزلته وكذلك أهل بيته ومن يعدونهم من الأئمة كل ذلك من الغلو لا تكاد تجد فرقة من الفرق إلا وقد غلت في شيء

المشبهة أهل التمثيل بما غلو؟ غلو في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل، المعطلة فيما غلو؟ غلو في التنزيه حتى وقعوا في التعطيل،

القدرية منكروا القدر غلو في ماذا؟ غلو في إثبات عدل الله - عز وجل - حتى سلبوا الله - عز وجل - القدر السابق،

وضدهم الجبرية غلو في ماذا؟ غلو في إثبات أفعال الله - عز وجل - حتى نسبوا الله تعالى إلى عدم الحكمة

وهكذا لا تكاد تجد طائفة من طوائف الضلال إلا وقد غلت في أمر من الأمور فليحذر الإنسان الغلو وليكن معتدلا هذا الاعتدال في العقائد، وكذلك الاعتدال في العبادات فلا ينبغي للمؤمن أن يغلو في عبادته والغلو في العبادة له صور :

منها أن يحدث في دين الله ما ليس منه بأن يبتكر صورا من العبادات من الأمور من أوراد وصلوات، وأفعال لم يأتي بها النبي ﷺ فهذا نوع من التجاوز،

ومنها أن يأتي إلى أمر مشروع فيزيد فيه كالثلاثة نفر الذي قال أحدهم أما أنا فإني أصوم ولا أفطر مع أن الصوم في أصله مشروع، وقال الأخر يقوم ولا ينام مع أن القيام مشروع لكنهم خرجوا عن السنة وقال الثالث لا أتجوز النساء مع أن الزواج مشروع ومستحب فينبغي لك أيها المؤمن أن تسُوس نفسك سياسة معتدلة لأن النفس يا معشر الإخوان والأخوات كالدابة التي تركبها من حصان أو بغل أو غيره وإن شئت فقل وسيارة فإن أنت حملتها ما لا تطيق أعيت وتعطلت وإن أنت ترفقت بها و اغتنمت نشاطها فسرت حثيثا ولاطفتها إذا أدركها فتور أو تعب فأنت تحفظ عليها نشاطها وتستبقي مادتها فكن حكيما في كل شيء معتدلا في عقائدك، معتدلا في عباداتك، كذلك معتدلا في عواطفك ومشاعرك لأن من الناس من إذا أحب أسرف، وإذا أبغض أسرف، وقد جاء في بعض الآثار (أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما) ليس مرفوعا بل هو موقوفا على بعض الصحابة وفيه حكمة على كل حال فالذي ينبغي للإنسان ألا يشتط ولا يغلو في جميع الأمور حتى تنضبط نفسه ويعتدل ميزانه

-ثم قال المصنف عليه رحمة الله:

◈ **و لمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال ((هلك المتنطعون قالها ثلاثة))** يعني كررها ثلاث مرات **هلك** إما خبر وإما دعاء هلك المتنطعون إما خبر عنهم بأنهم قد هلكوا وإما دعاء عليهم بالهلكة ولا يمنع من اجتماع الأمرين

من المتنطعون جمع متنطع وهو المتعمق بالشيء كل من تعمق وبالغ في شيء من الأشياء فإنه متنطع فمثلا من التنطع في العقائد الغلو في الصالحين وما يحصل من لحس أيديهم لا تعجبوا يفعلون هذا يقع من بعض الناس إذا كان يعظم شخصا يلعق يديه ويتمسح به يتبرك به نمط من التنطع إن كان صاحب فضل وعلم ودين فانتفع به من علمه وفضله وتأسى به في أخلاقه ولا تصنع هذه الأفعال المحدثة،

من التنطع في العبادة ما يفعله الموسوسون تجد أحدهم يعني يجري المياه الدافقة في وضوء أو غسل حتى حدثني بعضهم أنه لا يدخل دورة المياه أكرمكم المياه والمكان حتى يشغل الدينامو لأن الماء ينتهي في الخزان – عافانا الله وإياكم – مع أن خير الورى ﷺ يتوضأ بكم؟ بمد يعني قدر الكأس، ويغتسل بصاع وهو أوفر منا شعرا وأعظم فضلا ﷺ فهذا أيضا مثال للتنطع، و من التنطع أيها الإخوان التحلق في الكلام الذي يتشدق في كلامه ويلوك الكلام لوكا كلسان البقرة إذا أخرجته فمن الناس من يتعمق في كلامه وينبش الكلام العميق الذي فيه إغراق بينما

ينبغي للإنسان أن يبتعد عن التكلف: { قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين } وهكذا في سائر الأمور فهذا معنى إيماني تربوي جدير بالملاحظة ومناسبة الحديث للباب النهي عن التنطع لكون التنطع نوعا من الغلو .

◈ **و نستفيد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه:-**

- النهي عن التنطع في جميع الأشياء.

- ونستفيد أيضا الحث على الاعتدال في جميع الأشياء.

- ونستفيد ثالثا شدة حرص النبي ﷺ على هداية أمته وحملهم على المنهج السوي الصحيح .

◈ **ولنستمع الآن إلى مسائل الباب...**

فيه مسائل:

-الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

[الشرح]: نعم هذا الباب المتعلق بالغلو في الصالحين وبابان بعده متعلقان في من عبد الله عند قبر رجل صالح وغيره كل هذا يتبين منه غربة الإسلام في هذا الزمان وزمن المصنف - رحمه الله - لما وقع من الغلو في الصالحين والابتداع في الدين

-الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين.

[الشرح] : صحيح قد عرفنا هذا من تفسير ابن عباس للآية وأن هذه الأسماء أسماء رجال صالحين

-الثالثة: معرفة أول شيء غيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

[الشرح]: هو الشرك وسبب ذلك هو الغلو في الصالحين

-الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

[الشرح]: إي والله البدعة هي الإحداث في الدين ومع ذلك تقبل لأنها تسلك، وتزوق فتنطلي على الغافلين مع أن العقل والشرع يأبى البدعة لأن البدعة استدراك على الدين يشهد بذلك الشرع والعقل ومع ذلك فقد تمكن الشيطان من تمرير هذا المشروع على بني أدم فتقبلوا

-الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل

[الشرح]: صحيح هذا ملحظ مهم لا يدخل مع الباب حتى يلبس بالحق فيدخل بواسطة الحق فالتلبيس الذي جرى في بني أدم أن الشيطان دعاهم إلى تعظيمهم لينشطوا على العبادة ولا يفطروا فهذا حق لكنه مزج بباطل أو باطل مزج بحق ولهذا فإن مهمة الراسخين في العلم الفصل بين الحق والباطل، والتمييز الحق من الباطل، والمحكم من المتشابه"

فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

[الشرح]:إن هكذا التركيبة التي قصدها المصنف – رحمه الله – أن الحق في هذا هو محبة الصالحين فلا شك أن محبة الصالحين مطلوبة نتعبد لله تعالى بها لكن الباطل هو التدرج بذلك إلى عبادتهم والغلو فيهم فيجب الحذر من هذا الخلط والتلبيس

-السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

[الشرح]: وقد تبين تفسيرها بحمد الله، وتتمة ذلك أن نعلم أن هذه الأصنام رجعت في قبائل العرب كيف رجعت في قبائل العرب مع أنها كانت في زمن نوح؟ رجعت في قبائل العرب لأنه لما جاء الطوفان طمرت وكانت في موضع في جدة أو قريب من جدة فأتى الشيطان إلى عمرو بن لحي في منامه وقال له ائتي جدة تجد أصناما معدة فذهب وكشف عنها وفرقها في قبائل العرب بل وزاد على ذلك فقد أحضر هبل من البلقاء وجعله في مكة فهو يتحمل وزر المشركين إلى يوم القيامة الذين جاءوا بعده وقد راءاه النبي ﷺ حينما صلى الكسوف يجر قصبه في النار عياذا بالله عمرو بن لحي الخزاعي .

-السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

[الشرح]: هذا مما يكون عليه بنو أدم أنهم يتمادون في الباطل لأن النفس أمارة بالسوء ويحصل لها من التزيين ما يجعلها يعني تندفع في هذا الباطل

-الثامنة: أن فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

[الشرح]: لأن البدعة خروج عن النص خروج عن الدليل فهكذا أدت البدعة كانت في أولها بدعة وليست شركا يعني مجرد أن أقاموا الصور وعكفوا هذا ليس شركا كان هذا بدعة عملية ثم بعد ذلك أدت بهم تلك البدعة إلى العبادة فصار شركا

-التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

[الشرح]:الشيطان يدرك من طبيعة بني أدم أن هذا يؤدي بهم إلى هذا فلذلك تدرج معهم

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

[الشرح]: القاعدة الكلية لا تغلو في دينكم هذه قاعدة في جميع الأمور كما صورنا لكم في العقائد، وفي العبادات، وفي العادات، وفي الأخلاق في كل شيء الغلو مذموم كما قيل كلا طرفي قصد الأمور ذميم .

-الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح

[الشرح]: و هذا سيأتي له مزيد بيان في البابين اللذان أشار إليهما الشيخ – رحمه الله – فإن العكوف عند القبور وطول والمكث عندها يؤدي إلى هذه المفسدة

-الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

[الشرح]: لأنه لقد جاء في صحيح البخاري أنهم صوروها وجعلوا لهم هذه الأنصاب وكذا ما نقله ابن القيم – رحمه الله – عن غير واحد من السلف فالتصوير باب من أبواب الوقوع في الشرك لا سيما إذا كان لمعظمين

-الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

[الشرح]: هذه القصة التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما فإنها قصة عظيمة تكشف عن مثيلاتها مما يتكرر مع بني أدم

-الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، هو الكفر المبيح للدم والمال.

[الشرح]: وهذه يقصد بها الشيخ علماء السوء الذين يقرءون هذه التفاسير الواضحة ومع ذلك فإنهم يفعلونها ويغفلون عنها، **نكمل بقية الفوائد إن شاء الله غدا؛؛**

- الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة. أي أن هؤلاء الذين نصبوا هذه الأنصاب وجعلوها في أماكنها ما أرادوا إلا الشفاعة هذه ذات الدعوى التي يدعيها مشركوا زمانه - رحمه الله -

- السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

[الشرح]: و هم الجيل الأول الذين آتاهم الشيطان وأغراهم بوضع الصور ظن من بعدهم أن أولئك العلماء أرادوا بذلك يتخذوهم شفعاء مع أنهم لم يريدوا ذلك فكأن الشيخ - رحمه الله - يشير إلى حال كثير من الجهال الذين يغترون بأمور تصدر من بعض العلماء فيقعون في الشرك من حيث لا يعلمون، وبالجملة فإن هذا الباب باب موقظ للمسلمين أن يحذروا أن تزل بهم قدم في باب من أبواب الشرك بأي دعوى من الدعاوى التي يزينها لهم الشيطان وأن الواجب على أهل الإسلام توحيد رب العالمين، وعدم المساس بجناب التوحيد، وعدم قبول أي حيلة شيطانية يلبس بها على الناس بل يخلصوا العبادة لله سبحانه وتعالى ويتوسل بما جعله الله وسيلة من عبادته سبحانه وتوحيده ودعائه وما سوى ذلك من الوسائل الشركية فإنها منهي عنها وتدخل في الغلو في الدين

-السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) فصلوات الله وسلامه عليه على من بلغ البلاغ المبين.

[الشرح]: نعم هذا بيان بليغ منه ﷺ إذ أنه نهى عن الإطراء، وقد تقدم معنا أن الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وبين ذلك بالمثال قال كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ثم بين لهم ما الذي ينبغي أن يقولوه فإن من سد بابا فعليه أن يفتح أبواب فلا يقولوا كما قالت النصارى في المسيح بن مريم بل أرشدهم إلى العبارة البليغة المطابقة للواقع التي لا إفراط فيها ولا تفريط عبد الله ورسوله فوصفه بالعبودية رد على أهل الغلو، ووصفه بالرسالة رد على أهل الجفاء

-الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

[الشرح]: وجه النصح هو إخباره ﷺ بهلاك المتنطعين ثلاثا وهذا من المبالغة في النصح سواء قلنا إن ذلك خرج مخرج الخبر أو خرج مخرج الدعاء، ووجه النصح هو التحذير من الوقوع في ما وقعوا فيه فأيا كان التنطع فإنه مذموم، ولا شك أن أشد التنطع ما كان متعلقا بالعقائد ثم ما يليه ما كان متعلقا بالعبادات، ثم ما كان متعلقا بالعادات والسلوك

-التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

[الشرح]: صحيح قد جاء ذلك في حديث ابن عباس قال ونسي العلم يعني أندرس فالعلم أيها الإخوة عصمة هو أعظم عصمة من الوقوع في البدع والضلالات، واعلموا أن الرب سبحانه وتعالى يعصم عبده بأنواع من العصمة فمما يعصم الله تعالى به العبد من الزيغ والضلال العلم فإن العلم نور وضده الجهل، ومما يعصم الله تعالى به عبده من الزيغ والضلال، أيضا التقوى فإن من الناس من قد يكون قليل العلم لكن يؤتيه الله تقوى فينشأ عن هذه التقوى فرقان يفرق الله تعالى به بين الحق والباطل، ومن أنواع العصمة العقل فقد يمن الله تعالى على بعض عباده بعقل راجح يتبين فيه مآلات الأمور وحقائقها فيميز بين الحق والباطل، ومما يعصم الله به العبد أيضا الخُلق فإن الخلق الكريم والمروءة تحول بين العبد وبين الزلل والخطأ فهذه الأربعة يحصل بها عصمة فإن اجتمعت كلها فذلك أعلى الكمال إذا رزق العبد علما وتقى وعقلا وخلقا فذلك بأعلى المنازل يعصمه الله تعالى من الخطأ ومن الضلال في حقه، وفي حق نفسه، وفي حق عباده وإذا فقد العبد جميعها فهو أضل الضالين، وبين هذين الأمرين مضمار واسع يتفاوت فيه الناس نسأل الله أن يعصمنا بعصمته

-العشرون والأخيرة: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

[الشرح] : نعم لما مات ذلك الجيل ونسي العلم وقع المحذور من الشرك بالله تعالى فيرجع الأمر إلى موت العلماء كما جاء مصرحا به في الحديث ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء)) فإذا ذهب العلماء اتخذ الناس رؤوس جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا فهذا يدل على منزلة أهل العلم وأنهم نجوم السماء وأوتاد الأرض لأنهم يمسكون بالكتاب ويحفظ الله بهم الملة وينبغي أن يكون العلم ليس في السطور بل في الصدور ثم يظهر من الصدور إلى السلوك والجوارح حتى يكون علما حقيقيا نافعا مباركا وهذا هو حال العلماء الربانيين..